گـۆڤـاری زانـکـۆی ڕاپـەڕیــن
Journal of University of Raparin.
مجلة جامعة رابرين

E-ISSN: 2522 – 7130 P-ISSN: 2410 – 1036
This work is licensed under CC-BY-NC-ND 4.0
DOI:10.26750/Vol(12).No(2).Paper38

تاريخ الاستلام: 18-07-2023
تاريخ الــقبول: 27-08-2023
تاريخ النـــشر: 29-04-2025

الأفعال الكلامية غير المباشرة في رواية (خبز على طاولة الخال ميلاد) لمحمّد النعّاس

دراسة تداولية

گەشە عبدالله علي [1]

gasha.ali@univsul.edu.iq

[1]قسم اللغة العربية، كلية اللغات، جامعة السليمانية، السليمانية، إقليم كوردستان، العراق.

الملخص

تسعى هذه الدراسة إلى رصد تجليات الأفعال الكلامية غير المباشرة ذات المعاني الضمنية في نصوص مختارة من رواية(خبز على طاولة الخال ميلاد- لمحمّد النّعاس) للكشف عن القوة الإنجازية فيها، والاطّلاع على طريقة تداولها وتفسير أغراضها التواصلية التأثيرية المتنوعة ومقتضيات مقام الشخصيات ومقاصدهم التخاطبية والأحداث، وذلك حسب تصنيف (جون سيرل) لهذا النوع من الأفعال المؤطّر بمعيار القصدية أي قصد المتكلّم في إنجاز الفعل الكلامي، تتلخص فكرة هذه الأفعال غير المباشرة لديه في أنّ الدلالات لا تحددها الكلمات وحدها ولا التراكيب وحدها، بل يكون للسياق الأثر البيّن في توضيح قصدية المتكلّم وتوجيه ذهن المتلقي وحدسه إلى فهم المعنى المراد من الخطاب، وهو الذي يفسر الملفوظ على أنّه إنجاز لفعل كلامي معيّن، فالمتكلّم يرمي من خلال كلامه إلى التعبير بشكل ضمني عن شيء آخر غير المعنى الحرفي الصريح، يصل إلى فهمه المتلقي بالاستدلال، فما يؤول إليه الفعل الكلامي غير المباشر يرتبط بخلفية كل من المتكلم والمتلقي التواصلية.

الكلمات المفتاحية: الأفعال الكلامية غير المباشرة، القوة الإنجازية، النّعاس.

Indirect Speech Acts in A Bunch of Texts from The Novel "Khwbz Ala Tawelat Al Khal Milad" Table" by Muhammad al-Na'as

A pragmatic study

Gasha Abdulla Ali[1]

[1]Department of Arabic language, College of Languages, University of Sulaimani, Sulaimani, Kurdistan Region, Iraq.

Abstract:

This research is an attempt to reflect indirect speech acts in a bunch of texts from the novel "Nan Leser Mezi Khale Milad-Khwbz Ala Tawla Khale Milad" to show the power of executing meaning and familiarize with the ways of use, pragmatic and interpreting the different effective purposes of those acts according to the need of the individuals' status and their conversations about the events. That is according to Searel's classification of this kind of acts limited with the (purpose) criteria, the speaker's purpose of executing a speech act.

The idea of these indirect acts to John Sirel is summarized that not only words and sentences determine meaning, but the context plays a significant role in explaining the speaker's purpose and addressing the hearer's thought and guessing the purpose to reach the meaning the conversation intends to convey. It is also the context that interprets the expressed idea like it is the execution of a speech act. Through speech, the speaker wants to imply something different from the known explicit purpose that the hearer receives with reason. What indirect speech acts communicate depends on the background of each of the speaker and the addressee.

Keywords: Indirect Verbs, The Power of Executing Meaning, Al Naas.

المقدمة

الحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصالحات، والصلاة والسّلام على خير الأنام، مبعوث الرحمة نبيّنا محمد، وبعد:

تعدّ الأفعال الكلامية الركيزة الأساسية والنواة المركزية في الدراسات التداولية التي من منظورها تجاوزت اللغة وظيفتها التواصلية، وعُنيت بدراسة اللغة في سياقات استعمالها وورودها أثناء التواصل. تتلخص نظرية الأفعال الكلامية في أنّ الإنسان عندما يتكلّم لا يفعل ذلك فقط لمجرّد كلام، ولكن ليقدّم من خلال كلامه وظيفتان، الأولى الوظيفة التواصلية

المتمثلّة في نقل الأفكار والتعبير عن المراد، والثانية الوظيفة التفاعلية التي تبنى وفقها العلاقات الاجتماعية، ويتحقّق من خلالها ما يفعله المتكلّم باللغة من تأثير وتبليغ وإنجاز أفعال من شأنها أن تغير وضعية المتلقي ومعتقداته. وأنّ ما يصدره المتكلّم في مواقف ووضعيات محددة يصبح لها أثر اجتماعي. والفعل الكلامي نوعان: الفعل الكلامي المباشر، والفعل الكلامي غير المباشر، فالقوة الإنجازية في الفعل المباشر تكون حرفية قائمة على معنى الكلام الحرفي الصريح الذي يكون فيه الغرض الإنجازي مطابقًا لما ينطق به المتكلّم، وأمّا في الفعل غير المباشر الذي لا يكون الغرض الإنجازي مطابقًا للمنطوق فتكون القوة مستلزمة متحققة في معنى الكلام الضمني والإيحائي داخل المقام التواصلي.

ولكون الخطاب الروائي فعلا كلاميًا إنجازيًا يمكنه تحقيق هدف التأثير والإقناع، ولأنّ الأفعال الكلامية غير المباشرة ذات الدلالات الضمنية هي آليات لغوية للكشف عن مقاصد الخطاب تجسد المعنى تجسيدًا أقوى وأعمق، ارتأينا أن نختار رواية (خبز على طاولة الخال ميلاد -لمحمّد النّعاس) الحاصلة على الجائزة العالمية للرواية العربية لعام 2022، المعروفة باسم ((جائزة بوكر العربية)) للبحث فيها.

ولعلّ أهم سبب في اختيار هذا الموضوع يعود إلى الرغبة في إثراء الرصيد المعرفي في هذا الحقل التداولي المهم، وقلّة الدراسات التطبيقية عن الأفعال الكلامية غير المباشرة .

وتكمن أهمية الموضوع في اختيار هذه الرواية لتكون ميدانًا للتطبيق، أنّها نص حيّ هادف، تدور أحداثها حول شخصية ميلاد الأسطى وهو شاب يبحث في مجتمع قريته المنغلق عن تعريف للرجولة المثالي حسبما يراها مجتمعه، وبعد محاولات عديدة يفشل في أن يكون رجلا فيمر بصراع كبير بينه وبين نفسه وهو يقول: أضعت جزءا كبيرا من ربيع سنيني وأنا بين ان أطرد نفسي أو أن أتقبلها، أخيرًا يحاول أن يتحدى المعتقدات التي فرضت على المجتمع الليبي – والمجتمع العربي عموما- في التعامل مع الرجل والمرأة، يعيش أيامه مع زوجته المستقبلية زينب داخل البيت يضطلع بأدوار خصّ المجتمع المرأة بها، فيما تعمل حبيبته على إعالة البيت وهكذا يقلبان الأدوار الاجتماعية، فيسخر المجتمع منه وهو يكون مغيّبا على حقيقة هذه السخرية حتّى يأتي يوم ويفشي له ابن عمّه ما يحدث حوله وما يقال عنه رامزًا إليه بالمثل الليبي:(عائلة وخالها ميلاد)، كناية عن العائلة التي لا يحكمها رجل، فقد تعددت تعريفات المجتمع للرجولة، لكنّ التعريف الوحيد الذي يحتفظ به المجتمع للرجل الضدّ أو اللّارجل الذي يكون ميلاد رمزا له.

وقد استخدم فيها الكاتب أفعالا كلامية غير مباشرة مشحونة بحمولات دلالية كثيرة وقوى إنجازية متنوعة أراد من خلالها التأثير في المتلقي وتغيير معتقدات وسلوكيات مجتمعه اتجاه مفهوم الرجولة، ولفهم الأغراض المقصدية الخفية لهذه الأفعال في الخطاب التفاعلي والتواصلي باشرنا بتقصي تمظهرها في السياقات المختلفة وتحليلها للظفر بالدلالات الكامنة وراء معانيها الضمنية، وذلك بتتبع المنهج التداولي المستعين بالمنهج الوصفي التحليلي.

وانطلقت الدراسة من إشكالية مفادها الإجابة عن الأسئلة الآتية:

1- ماهي آليات إنتاج الفعل الكلامي غير المباشر؟
2- ما المعيار العلمي للتفريق بين ما يُقال وما يُقصد؟
3- ما مدى استجابة النص الروائي لتطبيق آلية الفعل الكلامي غير المباشر تداوليًا؟
4- كيف تجسّدت الأفعال الكلامية غير المباشرة في رواية (خبز على طاولة الخال ميلاد-لمحمد النّعاس)؟

وبغية الإحاطة بجوانب الموضوع، جاءت الدراسة مكونة من مبحثين، تسبقهما مقدّمة وتلحقهما خاتمة.

مبحثها الأول معنون بـ (الأفعال الكلامية وتصنيفها عند سيرل)، تم فيها تناول مفهوم الأفعال الكلامية ونشأتها عند الغربيين واهتمام العلماء العربية بها ضمن مباحث الخبر والإنشاء، وبيان أقسامها، وتصنيف هذا النوع من الأفعال عند (سيرل)كون الدراسة جرت حسب تصنيفه، ثمّ التركيز على ما ابتدعه وسمّاه (الأفعال الكلامية غير المباشرة).

وأمّا المبحث الثاني، فقد خصّص للبحث في إنجازية الأفعال الكلامية غير المباشرة، ذلك من خلال اختيار نماذج تحليلية من مدونة البحث.

وانتهت الدراسة بخاتمة ضمّت أهم النتائج المتوصل إليها.

وقد استُقيت المادّة المعرفية لهذه الدراسة من مصادر ومراجع رصينة في مجال التداولية والأفعال الكلامية، نذكر منها:

التداولية عند العلماء العرب لمسعود صحراوي، وآفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر لمحمود أحمد نحلة، والتداولية اليوم، علم جديد في التواصل لآن لروبول وجاك موشلار، وفي البراجماتية- الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة لعلي محمود حجي الصّراف.

وأخيرًا، لعلّ أهم ما تمتاز به هذه الدراسة أنّها ركّزت على الأفعال الكلامية غير المباشرة التي قلّ الاهتمام بها من لدن الباحثين والدارسين ولا سيما في الخطاب الروائي، حيث انصبّ جلّ اهتمامهم على الأفعال المباشرة.

المبحث الأوّل: الأفعال الكلامية وتصنيفها عند جون سيرل

أولًا: مفهوم الأفعال الكلامية ونشأتها:

الفعل الكلامي بوصفه أول مفهوم تداولي جديد ينبوعه المعرفي الفلسفة التحليلية(صحراوي، أ، 34) بُحث في إطار ما سُمّي بـ(نظرية الأفعال الكلامية)، وانطلقت الدراسات التي ضمت هذه النظرية من مسلمة مفادها:" أنّ الأقوال الصادرة ضمن وضعيات محددة تتحوّل إلى أفعال ذات أبعاد اجتماعية"(بلخير، 2013، 13).وقد شغل مفهوم الفعل الكلامي بعدّه الوحدة الأساسية للتواصل مكانة محورية في الدراسات التداولية، حيث إنّ " الباعث للتركيز على دراسة أفعال الكلام ببساطة هو: أنّ كل اتصال لغوي يقتضي فعلا كلاميا، فوحدة التواصل اللغوي هي ليست ما كان مفترضا، بأنّها الرمز، المفردة أو الجملة، ولا حتى علامة على الرمز أو المفردة أو الجملة، بل هي بالأحرى إنتاج أو إصدار ذلك الرمز أو المفردة أو الجملة في تأدية فعل الكلام"(كاظم، 2015، 41). ظهرت بوادره في المحاضرات التي ألقاها الفيلسوف (جون أوستين) في جامعة هارفارد سنة (1955)، ونُشر في كتاب عنوانه (How to do think with words) أي(كيفية إنجاز الأفعال بالأقوال)، ثمّ طوّره وضبط منهجه تلميذه(جون سيرل)وتحقّق على يده نظرية منتظمة لاستعمالات اللغة قوامها"أنّ الكلام محكوم بقواعد مقصدية (intentional)، وأنّ هذه القواعد يمكن أن تحدد على أسس منهجية واضحة ومتصلة باللغة"(نحلة، 2002، 71).

وقد عُرّف الفعل الكلامي بأنّه" يعني التصرّف (أو العمل!) الاجتماعي أو المؤسساتي الذي يُنجزه الإنسان بالكلام، ومن ثمّ فـ (الفعل الكلامي) يُراد به الإنجاز الذي يؤدّيه المتكلّم بمجرّد تلفظه بملفوظات معيّنة، ومن أمثلته: الأمر، والنّهي، والوعد، والسؤال، والتعيين، والإقالة، والتعزية، والتهنئة..." (صحراوي، 2005، 10). وقيل هو :" كلّ ملفوظ ينهضُ على نظامٍ شكلي دلالي إنجازي تأثيري. وعلاوة على ذلك، يعدّ نشاطًا ماديًا نحويًا يتوسّل بأفعال قولية(Locutoires Actes)، إلى تحقيق أغراض إنجازية (illocutoires Actes)، (كالطلب والأمر والوعد والوعيد...إلخ) وغايات تأثيرية

(Perlocutoires Actes) تخصّ ردود فعل المتلقي (كالرفض والقبول. ومن ثمّ فهو فعلٌ يطمح إلى أن يكون فعلاً تأثيريًا، أي يطمح إلى أن يكون ذا تأثير في المخاطب، اجتماعيًا ومؤسساتيًا ومن ثمّ إنجاز شيء ما".(علوي، 2014، 51-52). وهذا يعني أن بمجرد التلفظ بالأقوال في سياق مناسب، يُنجز الإنسان أفعالا، فهناك أعمال لا يمكن إنجازها دون اللغة، وهذا ما يجعل القول فعلا بمجرّد التلفظ به.(عبدالباقي وأحمد، 2021، 139).

وعدّ (فان دايك) الأفعال الكلامية أحداثًا فونولوجية مورفولوجية نحوية دلالية تحددها منطوقاتنا اللغوية" فمن خلال إنتاج الأصوات نقوم في الوقت ذاته بأحداث فونولوجية ومورفولوجية ونحوية مركبة...ونحصل أيضا على حدث ذي نظام أعلى، نقيّمه من خلال إنجاز الحدث الكلامي، وهو حدث معنوي أو دلالي"(2001، 130، 131).

وقيل تشكّل نظرية الأفعال الكلامية "ثورة ضدّ الفكرة القائلة أن وظيفة اللغة هي وصف العالم - الإيهام الوصفي وأن كل الملفوظات التقريريّة تقوم على ثنائية الصدق والكذب، فالعكس من ذلك: إن وظيفة اللغة هي التأثير على الواقع، والسماح لمن ينتج الملفوظات إنجاز هذا الفعل، وفي هذه الحالة لا تخضع الملفوظات الثنائية للصدق والكذب، وهذه الأفعال الإنجازية تخضع لمعيار النجاح والفشل وليس الصدق والكذب".(بوخشة، 2020، 124). وكذلك جاء في هذه النظرية أنّها تشمل"دراسة العناصر اللغوية والبنيات الذهنية التي يتوقف تحديدها الدّلالي المرجعي على علاقة الأفعال بالأقوال بحسب السياق وحال الخطاب". (روقاب، 2016، ع15، 9). وأنّ هذه الأفعال تُنجز بمجرّد التلفظ بها في سياق مناسب، فهناك أعمال لا تُنجز إلاّ عن طريق اللغة وهذا ما يجعل الخطاب فعلا بمجرّد التلفظ به.

وقد تجلّت هذه النظرية عند العرب في مباحث البلاغيين تحديدًا في أسلوبي (الخبر والإنشاء) من علم المعاني، وهذا ما أقرّ به مسعود صحراوي قائلاً: " تندرج ظاهرة الأفعال الكلامية تحديدًا ضمن الظاهرة الأسلوبية المعنونة بـ(الخبر والإنشاء) عند العرب من الجانب المعرفي العام مكافئة لمفهوم الأفعال الكلامية... إنّ دراسة هؤلاء العلماء لهذه الظاهرة الأسلوبية مقتصرة على التراكيب الدالة المفيدة دون غيرها كثيرا ما كانوا يركزون على دعامة (الإفادة) في دراستهم للجملة والنص، إذ هي مناط التواصل بين مستعملي اللغة"(2005، 49، 51). فمن النحاة والبلاغيين الذين تنبهوا إلى هذه الظاهرة: عبدالقاهر الجرجاني(ت471هـ)، وأبو يعقوب السكاكي (ت626هـ)، ومحمد بن علي الجرجاني (ت729هـ)، وجلال الدين الخطيب القزويني(ت739هـ)، والشريف علي بن محمد الجرجاني (ت816 هـ)، ورضي الدين الإستراباذي(ت 686 هـ)، وسعد الدين التفتازاني (ت حوالي792هـ).(صحراوي، د.ت،، 182). وقد ظهر بحث البلاغيين في أثر المعنى التداولي ضمن السياق في دراستهم للأساليب العربية وأغراضها ولاسيما أن اللغة العربية تشتمل على أدوات وصيغ وتراكيب يضمنها المتكلم كلامه للدلالة على قوى إنجازية مختلفة، ويستدعي التعبير الدقة في اختيار المعنى الأساسي أو الثانوي "بحسب ما يقتضيه حال المُخاطَبة من حالات نفسية وظروف واقعية وعلاقات اجتماعية بين أطراف المُخاطَبة، ولما كانت تلك المعاني الأساسية والثانوية أنماطًا من القوى المتضمنة في القول، استلزم ذلك على الدارسين لعلم المعاني من البلاغة التعرض لهذه القوى بالدراسة في سبيل تحديد الربط المناسب بين مجموعة الأحوال ومجموعة التراكيب البديلة بالنسبة لمعنى أساسي واحد"(الطبطبائي، 1994، ج).

وبناء على ما سبق يمكن القول إنّ الملفوظات ترتبط بالمواقف التي قيلت فيها وبقدرة المتلقي على كشف مغزى الخطاب لأنّه حسب هذه النظرية أن المعنى في أي لغة لا يخضع لحساب منطقي صارم بحيث يكون لكل عبارة معنى ثابت، وإنّما تتعدد المدلولات بتعدد استخدام الكلمات والعبارات ...، وتكتسب الجمل معان مختلفة باختلاف السياقات الاجتماعية التي ترد فيها(زيدان، 1985، 56). وأنّ من أهم مبدأ في الفلسفة اللغوية الحديثة بُني عليه الفعل

الكلام هو" أنّ الاستعمال اللغوي ليس إبراز منطوق لغوي فقط، بل إنجاز حدث اجتماعي معيّن أيضا في الوقت نفسه"(بوجادي، 2009، 89).

وقد ذهب (أوستين) إلى أنّ هذا النوع من الأفعال يتركب من ثلاثة أفعال تؤدى معًا فلا يستطيع المتكلم أن يؤديها واحدًا تلوى أخر لأنّها مجتمعة تمثل جوانب مختلفة لفعل كلامي واحد لا يُفصل أحدهما عن الآخر، وهذه الأفعال هي: الفعل اللفظي المكوّن من النطق بأصوات لغوية ينتظمها تركيب نحوي صحيح يُعطي معنى محددًا ويكون هو المعنى الحرفي أو الأصلي المفهوم له مرجع يحيل إليه، والفعل الغرضي أو الإنجازي وهو وظيفة الفعل اللفظي في الاستعمال، وأخيرًا: الفعل التأثيري، والمراد به الأثر الذي يتركه الفعل الثاني (الإنجازي) في السامع أو المتكلم جسديًا أو فكريًا أو شعوريًا (نحلة، 2002، 67، 68).

ثانيًا: إسهامات (سيرل) في الأفعال الكلامية.

أعاد (سيرل) النظر في تقسيم (أوستين) الثلاثة، وأضاف إلى الفعل اللفظي قسمين: الأول: الفعل النطقي، وهو يشمل الجوانب الصوتية والنحوية والمعجمية. وأمّا الثاني فهو الفعل القضوي، وهو يشمل المتحدث والمرجع والمتحدث عنه أو الخبر، ونصّ على أنّ الفعل القضوي لا يقع وحده، بل يستخدم دائما مع فعل إنجازي في إطار كلامي مركب، لأنك لا تستطيع أن تنطقه دون أن يكون لك مقصد من نطقه، ونص على أن الفعل الإنجازي هو الوحدة الصغرى للاتصال اللغوي (نحلة، 2002، ص67- 71).

ومثال على ذلك، الجمل الآتية: (نحلة، 2002، 72-73)

أ- يقرأُ زيد الكتاب. ب- أيقرأُ زيد الكتابَ؟ ج- يا زيد، اقرأ الكتابَ. د- لو يقرأُ زيد الكتابَ!

ينجز المتكلم في نطق كل جملة من هذه الجمل ثلاثة أفعال في آن واحد:

أ- الفعل اللفظي: يتمثّل في نطق الأصوات المكونة للألفاظ على نسق نحوي ومعجمي صحيح.

ب- الفعل القضوي: ويتمثل في مرجع هو محور الحديث في جميعها، هو(زيد) في الجمل الأربع، وخبر هوفيها جميعًا (قراءة الكتاب)، والمرجع والخبر يمثلان معا قضية هي (قراءة زيد الكتاب) وهذه هي المحتوى المشترك بين جميع الجمل.

ت- الفعل الإنجازي: وهو: الإخبار في الجملة الأولى، والاستفهام في الثانية، والأمر في الثالثة، والتمني في الرابعة.

هنا استطاع (سيرل) أن يتنبه إلى أمر مهم ألا وهو وجود أفعال كلامية قد تنجز أكثر من قوة إنجازية، وقد تعبر عن واحدة من هذه القوى بطريقة مباشرة، وعن أخرى بطريقة غير مباشرة.

ومن المبادئ التي جاء بها سيرل أنّ الفعل الكلامي لا يقتصر على مراد المتكلم بل يرتبط أيضا بالعرف اللغوي والاجتماعي، وكذلك جعل شروط الملاءمة التي ذكرها(أوستين)أربعة وطبقها على أنماط من الأفعال الإنجازية.وهي: شرط المحتوى القضوي، والشرط التمهيدي، وشرط الإخلاص، والشرط الأساسي(نحلة، 2002، 74، 75).

و عنده الغرض الإنجازي للأفعال يختلف فلكل فعل غرض مختلف عن الآخر، وقد حدد هذه الاختلافات باثني عشر بعدا، منها: الاختلاف في الغرض الإنجازي، واتجاه المطابقة، والموقف النفسي، والقوة، ومنزلة كل من المتكلم والسامع، وطريقة ارتباط القول باهتمامات المتكلم، والمحتوى القضوي، والاختلاف في أن يكون القول دائما فعلا كلاميا،

والاختلاف في اقتضاء أداء الفعل عرفا لغويا أو غير مقتض، والاختلاف في أن يكون الفعل قابلا للأداء، وأخيرًا الاختلاف في أسلوب أداء الفعل(نحلة، 2002، 75، 76، 77. وأرمينكو، 1987، 62-67).

وقد صنف (سيرل) الأفعال الكلامية إلى خمسة أصناف هي: (نحلة، 2002، 79، وعودة، 2023، 60، 61، وجلولي، 58، 59).

1- الإخباريات Assertives أو التقريريات Reports:

يرتبط الغرض الإنجازي فيها بتعبير المتكلم عن حقيقة ما وبوصف الأشياء (بدرجات متفاوتة)، أفعال هذا الصنف كلّها تحتمل الصدق والكذب، واتجاه المطابقة فيها هو من العالم إلى الكلمات.

2- التوجيهيات Directives أو الطلبيات Orders:

يرتكز الغرض الإنجازي لهذه الأفعال على العمل الذي يتكوّن من محاولات المتكلّم لفعل شيء ما للمستمع، أي محاولة توجيه المتكلم المخاطب لفعل شيء ما. ويكون اتجاه المطابقة في هذا الصنف من العالم إلى الكلمات، والشرط العام للمحتوى القضوي هو أن يعبر عن فعل مستقبل للمخاطب وقدرة المخاطب على انجاز ما طلب منه. وشرط الإخلاص فيها يتمثّل في الإرادة أو الرغبة الصادقة، والفعل القضوي فيها هو دائما فعل السامع شيئا في المستقبل. والأفعال التي تدّل على هذا الصنف هي: سأل، طلب، أمر، اعترض، استعطف، دافع، التمس، توسل، دعا، سمح، نصح، تحدى، وكثير من أفعال "القرارات.

3- الالتزاميات Commitments أو الوعديات promises :

فهي أفعال إنجازية يكون فيها الغرض الإنجازي إجبار المتكلم على تبني تصرف ثابت مستقبلي، نتعهد فيها بالقيام بأشياء للآخرين. واتجاه المطابقة في هذه الأفعال من العالم إلى الكلمات، وشرط الإخلاص هو القصد، والمحتوى القضوي فيها دائما فعل المتكلم شيئا في المستقبل.

وفي ظاهر التشابه بين الفعلين (التوجيهي والالتزامي) قيل: " وظاهر أنّ اتجاه المطابقة في الالتزاميات والتوجيهيات واحد، فهل يُسوّغ ذلك ضمهما في قسم واحد؟ والجواب أن ذلك غير ممكن لسببين: أحدهما أنّ المرجع في الالتزاميات هو المتكلّم، أمّا في التوجيهيات فهو المخاطب. والثاني أنّ المتكلم في الالتزاميات لا يحاول التأثير في السامع، وفي التوجيهيات يحاول التأثير فيه"(نحلة، 2002، 79).

4- التعبيريات Expressions أو البوحيات Revelations:

غرضها الإنجازي هو التعبير عن الموقف النفسي بحيث يتوافر فيه شرط الإخلاص وتتعلق بحالة أشياء في المضمون القضوي وليس لها اتجاه مطابقة فالمتكلّم لا يحاول أن تكون الكلمات مطابقة للعالم الخارجي والعالم الخارجي مطابقا للكلمات، فالتعبير يكون عن الأحاسيس والمشاعر. وتشمل أفعالها: الشكر والتهنئة والتعزية، والاعتذار والترحيب.

5- الإعلانيات Announcements أو الإيقاعيات Rhythmics:

يتميّز هذا الصنف من الأفعال في أنّ الغرض الإنجازي منها هو إحداث تغيير في العالم بحيث يطابق العالم المحتوى القضوي، فضلًا عن أنّها تقتضي عرفًا غير لغوي، ويكون اتجاه المطابقة من العالم الخارجي إلى الكلمات ومن الكلمات إلى العالم الخارجي دون الحاجة إلى تحقيق شرط الإخلاص فأداؤها بنجاح يكفي لتحقيق المطابقة بين الكلمات والعالم.

وقد استُنتجت من تصنيف (سيرل) النتيجة القائلة إنّنا" لو اتخذنا الهدف الغرضي بوصفه فكرة محورية نصنف بها استعمالات اللغة، لوجد إذن عدد محدود إلى حد ما لأشياء أساسية نفعلها باللغة، نخبر الناس كيف توجد الأشياء، ونحاول التأثير عليهم ليفعلوا أشياء، ونلزم أنفسنا بفعل أشياء، ونعبّر عن مشاعرنا ومواقفنا، ونحدث تغيرات بواسطة منطوقاتنا، وفي أحوال كثيرة نفعل أكثر من واحد من هذه الاستعمالات بمنطوق بعينه في آن واحد" (عبدالحق، 1993، 237، 238).

ولعلّ أهم ما أسهم به(سيرل) في هذه النظرية أنّه أضاف مفهوم (الأفعال الكلامية غير المباشرة)، وميّز بينها وبين الأفعال الكلامية المباشرة، فالأفعال الإنجازية المباشرة عنده هي" التي تطابق فيها الأفعال الإنجازية مراد المتكلّم، فيكون معنى ما ينطقه مطابقًا مطابقة تامة وحرفية لما يريد أن يقول، وهو يتمثل في معاني الكلمات التي تتكوّن منها الجملة، وقواعد التأليف التي تنتظم بها الكلمات في الجملة، ويستطيع السامع أن يصل إلى مراد المتكلم بإدراكه لهذين العنصرين معًا".(نحلة، 2002، 51، 50، الصرّاف، 2010، 56، 55).

وأمّا الأفعال الإنجازية غير المباشرة فـ"هي التي تخالف فيها قوتها الإنجازية مراد المتكلّم، فالفعل الإنجازي يُؤدّى على نحو غير مباشر من خلال فعل إنجازي آخر " (الصرّاف، 2010، 56)، ومثال على ذلك: "إذا قال رجل لرفيق له على المائدة: هل تُناولني الملح؟ فهذا فعل إنجازي غير مباشر، إذ قوته الإنجازية الأصلية تدل على الاستفهام الذي يحتاج إلى جواب، وهو مصدر بدليل الاستفهام "هل". لكن الاستفهام غير مراد للمتكلم، بل هو طلب مهذّب يؤدي معنى فعل إنجازي مباشر هو: ناولني الملح".(نحلة، 2002، 51)، وإن استراتيجية (سيرل) في المثال: "هل تستطيع أن تناولني الملح، لا ينجز عملًا لغويًا واحدًا بل اثنين: عملًا أولّيا يتمثّل في الالتماس الذي يُنجز بواسطة عمل ثانوي هو السؤال."(روبول وموشلار، 2003، 59، 58).

وكذلك عُرّفت الأفعال الكلامية غير المباشرة بأنّها:" هي التي يتلفظ بها المرسل في خطابه وهو يعني حرفيًا ما يقول، وفي هذه الحالة فإن المرسل يقصد أن ينتج أثرًا إنجازيًا على المرسل إليه، ويقصد أن ينتج هذا الأثر من خلال جعله المرسل إليه يدرك قصده في الإنتاج"(الشهري، 2004، 135).

وقيل إن المراد بهذا النوع من الأفعال أنّها:" استراتيجية لغوية تلميحية يعبّر بها المتكلّم عن القصد بما يغاير معنى الخطاب الحرفي، لينجز بها أكثر مما يقوله، إذ يتجاوز قصده مجرّد المعنى الحرفي للخطاب فيعبّر عنه بغير ما يقف عند اللفظ مستثمرًا في ذلك عناصر السياق"(بيرم، 2014، 117).

وفي معنى التعريفات السابقة جاء :" الأفعال الكلامية غير المباشرة هي التي صرفت عن معناها الأصلي إلى معنى آخر يُفهم بمجموعة من القرائن السياقية وغيرها ويكون فيه الانتقال من المعنى الحقيقي إلى المعنى الذي يستند إليه المتكلم في قوله فهو أراد خلاف ما يفهم من ظاهر اللفظ وبلّغ أكثر ممّا قال وممّا سمع، فيكون حينئذ الفعل اللغوي المتحقق غير مباشر"(بلخير، 2013، 58).

وفيما يتعلّق باستراتيجية الوصول إلى معنى هذه الأفعال قيل:" فالعمل اللغوي غير المباشر لا تدلّ على هيأته التركيبية على زيادة في المعنى الإنشائي الحرفي، وإنّما الزيادة مكتسبة من معنى المتكلّم من خلال وصول السامع إليه عن طريق استراتيجية الاستنتاج، وتحيل هذه الاستراتيجية على منطق المحادثة عند (غرايس)؛ إذ إنّ المتلقي يتوصّل إلى المعنى مستخدمًا كفايته اللغوية خاصة إلى جانب الكفاية المنطقية، والثقافية من خلال مراعاة المواضعات الاستعمالية للغة" (الدّخيل، 2014، 52).

ورأى (سيرل) أنّ ميدان تحقيق هذا النوع من الأفعال هو المجاز والاستعارة والتلميح وتعدد المعنى وأسلوب السخرية والتهكم فقال:" يتعلّق الأمر بأقوال يرمي من خلالها المتكلمون إلى التعبير بشكل ضمني عن شيء آخر غير المعنى الحرفي، مثلما هو الشأن في التلميحات والسخرية والاستعارة وحالات تعدد المعنى" (بلاتشيه، 2007، 68).

وقد طرح عدّة أسئلة في شرح القضية المتعلّقة بالفعل الكلامي غير المباشر وكيفية تفسيره من وجهة نظر كل من المتكلّم والمستمع قائلًا: كيف يتسنّى للمتكلّم أن يقول شيئًا ويعنيه، لكنه يعني به شيئًا آخر أيضا؟... كيف يفهم المستمع الفعل الكلامي الأولي اللاحرفي عن طريق فهمه للفعل الثانوي الحرفي؟ وهذا جزء من سؤال أكبر هو: كيف يكون للمتكلّم أن يعني الكلام الأولي في حين هو ينطق بجملة تعني الكلام الثانوي؟ (الخليفة، 2012، 201). وبعد أطروحته هذه وصل إلى جواب خلصه في :أنّ القول الحقيقي ينتصب وجوده متى كان هناك تطابق بين معنى الجملة والمعنى الذي يقصده المتكلّم يفهمه المستمع، وعلى عكس ذلك أن المعنى المجازي يحيّر المستمع على الانتقال من المعنى الحقيقي إلى المعنى الذي يسنده المتكلم إلى قوله، مثلًا :

في الجملة (جارتك أفعى) إنّ المستمع يلغي وجوبا المعنى الحقيقي ليكون الجارة أفعى ولا يحتفظ إلّا بالمعنى المجازي، على الرغم من أنه يمكن أن توجد حالات أخرى يضطر فيها المستمع إلى الانتقال من المعنى الحقيقي للجملة حتى يصل إلى نقيض المعنى المقصود، ومن المعلوم أن هنالك قرائن غير لغوية تساعد على الوقوف على المعنى الثانوي لهذه الجملة وهو السخرية، من هذه القرائن النغمة والبسمة. (دلاش، د.ت، 29).

وجاء في الوظيفة الاجتماعية لهذه الأفعال غير المباشرة أنّها تأتي لـ: "تحاشي المحظورات، والتحايل على حواجز غير مرغوب فيها، وتفادي مطلب غير مبرر، أو خلق إمكانات واسعة تمكّن من الاهتداء إلى مخرج"(دلاش، د.ت، 31)

تميّزت الأفعال الكلامية غير المباشرة بسمات حُددت بما يأتي: (نحلة، 2002، 83).

1- أنّ قوّتها الإنجازية موكولة إلى السياق فلا تظهر قوتّها إلاّ فيه.
2- أنّ قوّتها الإنجازية يجوز أن تُلغى، فإذا قال لك صاحبك: أتذهب معي إلى المكتبة؟ فقد تُلغى القوة الإنجازية غير المباشرة وهي الطلب ليقتصر الفعل على قوته الإنجازية المباشرة وهي الاستفهام.
3- أنّ التوصل إلى قوّتها الإنجازية لا يكون إلاّ عبر عمليات ذهنية استدلالية تتفاوت من حيث البساطة والتعقيد.

المبحث الثاني: إنجازية الأفعال الكلامية غير المباشرة في رواية(خبز على طاولة الخال ميلاد)لمحمد النّعاس

بعد العرض النظري، نحاول في هذا المبحث الوقوف على إنجازية الأفعال الكلامية غير المباشرة وإبراز أثرها في توجيه دلالة نصوص الرواية المختارة من خلال نماذج تحليلية، ذلك وفق تصنيف (سيرل) للأفعال الكلامية.

أوّلًا: الأفعال الكلامية غير المباشرة في الإخباريات(التقريريات)

فقد جاء استعمالها في الرواية بكثرة، في عرض مواقف ووصف أشياء وأحداث، منها:

1-ما جاء في الحوار الدائر بين ميلاد وابن عمّه العبسي :

" -سمعت أحدهم يقول، ذات مرّة عن هنادي ابنة أختك، وهي تخرج من الجامعة بالبنطال: " عيلة وخالها ميلاد".

-عائلة وخالها ميلاد؟ ماذا تعني؟

-تعني أنّ الناس هنا يرونك ديّوثًا لا غيرة لك...

- ابنة أختي؟ إنّها محترمة، وتسير في الشارع وعيناها إلى الأرض." (النّعاس، 2022، 26).

ففي الجملة الخبرية التي وُصفت بها هنادي (عيلة وخالها ميلاد- عائلة وخالها ميلاد) فعل كلامي غير مباشر عبّر به الكاتب بالكناية، تحقّقت قوتها الإنجازية في معنى انتفاء الغيرة وعدم السيطرة.

وفي الجملة (تسير في الشارع وعيناها إلى الأرض) تحقّق فعل كلامي غير مباشر، عُبّر عنه بالكناية قوته الإنجازية تمثّلت في معنى غض البصر والاحترام.

2-وجاء في وصف ميلاد لتعاسة جيله:" تبددت أحلامنا وانفرطت كعقد لؤلؤ مقطوع"(النّعاس، 2022، 70).

حيث ورد الفعل الكلامي غير المباشر من خلال تشبيه أحلامهم بعقد لؤلؤ مقطوع، تمثّلت قوته الإنجازية في معنى التحسّر.

3-وكما جاء في وصف الطقس البارد:" كان البرد القارس يعضّ أجسادنا العارية الصدور "(النّعاس، 2022، 76)

إذ عُبّر بالاستعارة عن فعل كلامي غير مباشر، قوّته الإنجازية ظهرت في معنى سوء الطقس وشدّته، إذ شبه الكاتب الطقس بحيوان مفترس يعضّ.

4-مثله في تحقيق الفعل الكلامي غير المباشر عن طريق الاستعارة، ما ورد في وصف سلطة المجتمع :" وصارت سلطة المجتمع تسنُّ سكاكينها أكثر فأكثر"(النّعاس، 2022، 129)، حيث تمثّلت القوة الإنجازية في هذا السياق في تصوير سطوة المجتمع وقيوده في قضية خروج الولد مع البنت، وذلك بتشبيه سلطة المجتمع بسكاكين حادّة تنغرس تجرح وتدمي.

5-جاء في وصف الجنود :" سمعت أنّ الجنود في تشاد كانوا يحاربون في درجة حرارة تشوي أجسادهم، حتّى أنّ بعضهم ذهب أبيض كالشمعة إلى أوزو وعاد أسعد كالبياض" (النّعاس، 2022، 77)، حيث عبرّ فعلان كلاميان غير مباشرين عن قوتين إنجازيتين: الأولى تحقّقت من خلال تشبيه جلد بعض الجنود بالشمعة في البياض، والثانية في تحوّل لون جلدهم إلى أسود كالفحم لأنّ (أسعد والبياض) تعني الفحم في اللهجة الليبية القديمة المتطيّرة من اللون الأسود، ذلك للتلميح إلى أثر شدة درجة الحرارة في إحراق الجلد إلى أن صار كالفحم، فهنا إنجازية الفعلين تحقّقت من خلال كلمة (البياض) التي حملت دلالة لونين متضادين، فبالإضافة إلى معناها الأساسي، فهي تعني الفحم كذلك.

6-جاء في سرد العبسي لمحاولات أبيه السيطرة على بيت العيلة وأخوات ميلاد: "أقول لك، إنّها تشبه جدّتي، كانت تُمشي جدّي على الحائط"(النّعاس، 2022، 231)، حيث أنّ الفعل الكلامي غير المباشر قد تحقّق من خلال الكناية تمثلّت في معنى قوة التأثير والسيطرة.

ثانيًا: الأفعال الكلامية غير المباشرة في التوجيهيات(الطلبيات):

ومن التوجيهيات ورد الاستفهام والأمر والنهي والنداء:

أولًا: الاستفهام:

حقّقت الأفعال الكلامية غير مباشرة قوى إنجازية مختلفة من خلال استخدام أسلوب الاستفهام، منها:

1-ما جاء في سخرية المادّونا قائد الجيش من ميلاد:

" هيّا المادّونا، هل آتيك بأختي تحملك على كتفيها؟" (النّعاس، 2022، 75)، حيث أدّى الاستفهام بالأداة (هل) فعلا كلاميًا غير مباشر قوته الإنجازية تمثلت في معنى السخرية من رجولته والاستهزاء بضعفه .

2-كما ورد في الحوار الدائر بين ميلاد وزاهر حرس المعسكر:

"- أنا لديّ سؤال يا زاهر، لماذا لا تهرب معنا من المعسكر؟...

-هل تمزح يا ميلاد؟ أنا أحبّ المعسكر، يمكنني مساعدة أناس مثلك مع بعض الفائدة لصالحي، هل يهرب أحد من منجم ذهب كالمعسكر؟" (النّعاس، 2022، 93، 92)، حيث تحقّق بالاستفهام(هل) فعلان كلاميان غير مباشرين تمثلّت قوتهما في معنى التعجب والإنكار.

3-ما جاء في حوارٍ دائرٍ في خيال ميلاد مع أبيه:"

"- ماذا تريد منّي؟ قلت وأنا أضرب النُّضد بكفّي.

-أن تعوم وحدك.

-أن، ماذا؟

-ستغرق إن خفت الغرق، هل نسيت؟ أم أحتاج إلى تكرار الأمر ألف مرّةٍ، حتّى يدخل التبن الذي تحمله بين كتفيك؟"(النّعاس، 2022، 313)، حيث أدت أداتا الاستفهام (ماذا، وهل) ثلاثة أفعال كلامية غير مباشرة، بثلاث قوى إنجازية مختلفة تحقّقت في معنى الغضب، والاستنكار، والتوبيخ)، وما عمّق هذه الدلالات هو وضع كلمة التبن مكان الرأس كناية عن الغباء أي أنّ رأسه خالي من العقل لم يستوعب ما قيل له فهو كالتبن الناشف الجاف الخفيف.

4-مثل ما جاء في قول العبسي محاورا ميلاد في شأن تحريضه عل ضرب زوجته عندما قال له ميلاد: لابد من وجود دليل كي يقوم بالضرب فردّ عليه العبسي قائلًا:" وهل يحتاج الرّجل منّا إلى دليل أو سبب ليضرب زوجته"(النّعاس، 2022، 286)، حيث حقّق الاستفهام بـ (هل) فعلا كلاميا غير مباشر ظهرت قوته الإنجازية في معنى الاستنكار الممزوج بالفخر، وكأنّه من البديهي أن يضرب الرجل زوجته دون أي سبب ليس هذا فقط بل ويفتخر بما يفعله حسب عرف المجتمع السائد.

ثانيًا: الأمر: ومن أمثلته:

1-ما ورد في قول العبسي لميلاد ناصحًا إيّاه:" افتح لي عقلك قليلًا.. أرجوك، نظّف حظيرتك من التبن ودع غباءك المعتاد جانبًا وركّز معي، نحن عائلة واحدة، وأي إهانة لفرد من العائلة هي إهانة لاسم العائلة بأكمله"(النّعاس، 2022، 27)، حيث تمثّلت القوة الإنجازية للأفعال غير المباشرة (افتح، نظّف، دع، ركّز) في معنى الالتماس، والنصح والإرشاد والتنبيه.

2-مثل ما جاء في قول المادّونا هو يستهزأ برجولة ميلاد :" هيّا يا غبيّ، عش يومًا ديكًا ولا عشرة دجاجة، هيا تحرّك"(النّعاس، 2022، 78)، إذ أنجز الفعل الكلامي غير المباشر في هذا المثل قوة إنجازية تمثّلت في معنى التحقير والاستهزاء، المراد به عش شجاعًا كرجل ولو ليوم واحد ولا تعش جبانًا كالمرأة ذلك حسب اعتقاد مجتمع ذكوري ينظر إلى المرأة على أنّها ضعيفة وجبانة لا تقوى على فعل شيء على عكسها الرجل يتمتّع بقوة جسدية عقلية تجعله مسيطرًا وقوّاما على كلّ شيء.

ثالثًا: النهي: ومن أمثلته:

1-ما جاء في قول أبي ميلاد وهو يعلّمه صنع الخبز:"لا تخلط الخميرة بالماء مباشرة، إنّهما كالرجال والنساء"(النّعاس، 2022، 32)، حيث عبّر بتشبيه الخميرة بالنساء والماء بالرجال عن فعل كلامي غير مباشر، ظهرت قوّته الإنجازية في معنى عدم التهور والمباشرة بأي عمل قبل التدقيق وكذلك عدم التهور في الدخول في علاقة قبل معرفة المقابل، لأنّ كل شيء في الحياة له نظامه لابد من مراعاة ذلك، وأنّ كل إنسان مطبوع على سلوكيات خاصة تحتاج إلى الذكاء في التعامل معها كي يحصل انسجام في العلاقة.

2-كما جاء في سرد مشهد مناداة ميلاد للسباحة من قبل أبيه: " تعال لا تكن مثل البنات" (النّعاس، 2022، 158)، حيث عبّرت صيغة النهي (لا تكن) والتشبيه بالبنات عن فعل كلامي غير مباشر قوته الإنجازية تمثلت في معنى السخرية في عدم الامتثال بالبنات في الضعف.

والملاحظ في التوجيهيات الواردة في نصوص الرواية، اجتماع أكثر من آلية لغوية تحققت من خلالها أفعال كلامية غير مباشرة ذات حمولات دلالية مختلفة، منها:

ما دار بين بين المادّونا قائد الجنود في المعسكر وميلاد من حوار:

" -... أريدكم أن تركضوا كالأحصنة، لا أريد أن يتوقّف أحد منكم ولو لحظة ليتنفّس، هل من سؤال؟

- حتّى نحن يا فندي؟ قلت له.
- هل سمعتم؟ إنّ الأستاذ...ما اسمك؟
- ميلاد.
- ميلاد من؟
- ميلاد مختار محمد ميلاد الأسطى.
- إنّ الأستاذ ميلاد، مختار، محمد، ميلاد الأسطى، يسألني عمّا إذا كان يتعيّن عليه الركض رفقة صديقيه العِجلين أم لا، هل يتعيّن عليهم الركض؟ علّت القهقهات في بعض صفوف الجنود."(النّعاس، 2022، 67)، إذ إنّ الأفعال (أريدكم، أن تركضوا، لا أريد، أن يتوقّف، ليتنفّس) أنجزت بها أفعالا كلامية غير مباشرة ظهرت قوتها في(أريدكم أن

تركضوا كالأحصنة) في معنى (القوة) من خلال تشبيه الجنود بالأحصنة بيانًا للقوة التي تتمتع بها الأحصنة وكذلك الانقياد لأوامر صاحبها، وأمّا القوة الإنجازية غير المباشرة في (لا أريد أن يتوقّف أحد منكم ولو لحظة ليتنفّس) فهي أمر دالّ على التهديد بعدم مخالفة الأوامر.

وفي السياق نفسه أنجزت أداة الاستفهام (هل) فعلين كلاميين غير مباشرين: الأوّل في قوله (هل سمعتم؟) حيث عبّرت عن معنى التعجب الممزوج بالسخرية والاستصغار، ذلك من خلال تكرار اسمه الثلاثي ولقبه بنغمة فصل الكلمات عن بعض، ومن خلال تشبيه صديقيه بالعِجل. هنا في هذا السياق أنجز التوجيهيان الأمر والاستفهام أفعالا كلامية غير مباشرة قوّت مستوى إنجازية التواصل بين المرسل والمتلقي.

ومثال آخر على تعالق أسلوبي الأمر والاستفهام ما ورد في قول أبي ميلاد وهو يوجهه لكيفية صنع الخبز:" ولد أحمق، ماذا تفعل؟ اغسل يديك، ... اطوِ العجين كما تفعل بملابس زوجتك، أم هل أنستك الملابس فعل ذلك؟"(النّعاس، 2022، 312)، إذ جاءت أفعال كلامية غير مباشرة منجَزة من خلال فعل الأمر(اطو)، وأداتي الاستفهام (ماذا، وهل) ففي الجملة الأولى: (ماذا تفعل؟) انعكست القوة الإنجازية في الاستفهام (ماذا) في معنى التوبيخ والتوجيه، وأمّا في الجملة الثانية:(اطو العجين كما تفعل بملابس ...أم هل نسيت فعل ذلك؟)، ففعل الأمر (اطو) معناه أنّك عليك أن تتعلّم طوي العجين مثلما تعودت على طي ملابس زوجتك والذي كان بنظره أمرا معيبًا أن يكون الرجل جيدا في إنجاز أعمال تعدّ من عمل النساء في حين لا يجيد العمل الذي يقوم به الرجل في العادة، والفعل المنجز بالأداة (هل وأم المنقطعة) تحققت قوته في معنى التأنيب والمحاسبة.

- وكذلك اجتماع أسلوبي (النداء والأمر) معًا في إنجاز أفعال غير مباشرة عمّق المعنى المقامي التواصلي، مثل ما جاء في الحوار الداخلي بين ميلاد ونفسه في شأن خروج زوجته زينب برفقة مدير عمله:

" يا ميلاد يا ولد سيديّ، يجب أن تقتل القطّ حتّى تخاف منك المرأة، إذا رأيتها معه في الغد، اضرب الزامل، إنّه القطّ، ولأكون دقيقا هو قطّ سمين يجب أن يُعاقب لأمور غير ذلك"(النّعاس، 2022، 205)، إذ حقّق حرف النداء (الياء) بتكررها مرتين فعلًا كلاميا غير مباشر تمثّلت قوّته في حث الذات على إنجاز ما يلزم، وتذكيره بنسبه، وكذلك في الجملتين الفعليتين (يجب أن تقتل القط، واضرب الزامل) أفعال كلامية غير مباشرة ظهرت قوتها في معنى تخويف المرأة وتأديبها حتى لا تفعل شيئًا تثير غضب زوجها، عملا بالمَثَل القائل:"اضرب القطّوسة، تخاف العروسة"(النّعاس، 2022، 287)، أي اضرب القطّة. والزامل من الدواب: الذي كأنه يظلع في سيره من نشاطه(ابن منظور، د.ت، مادة: زمل).

ثالثًا: الأفعال الكلامية غير المباشرة في الالتزاميات (الوعديات):

كانت أفعال هذا النوع قليل الورود في الرواية، فقد لحظت في قول ميلاد متحسّرا على الأيام التي عاشها قبل دخوله المعسكر:" أنا على استعداد لبيع خصيتيّ حتى تعود تلك الأيام"(النّعاس، 2022، 63)، إذ تحقّق الفعل الكلامي غير المباشر بتبنّي تصرّف مستقبلي أبدى ميلاد استعداده لتنفيذه، والقوّة الإنجازية في هذا التعبير تمثّلت في معنى المستحيل، أي استحالة عودة تلك الأيام، واليأس من الحالة التي فيه كيأسه من عدم جدوى خصيتيه في الإنجاب.

وما جاء في شأن الإصلاح بين ميلاد وزوج أخته صباح:" أنّه تعهّد لي بألاّ يمدّ يده على صباح"(النّعاس، 2022، 266)، حيث تحققّ فعل كلامي غير مباشر بالتعهد بعدم مدّ اليد، ذلك ثبتت قوته الإنجازية في معنى (الضرب) أي تعهد بألاّ يضربه.

رابعًا: الأفعال الكلامية غير المباشرة في التعبيريات(البوحيات)

لقد صوّرت الأفعال الكلامية غير المباشرة حالات نفسية كثيرة ومختلفة عبّرت عن الأحاسيس والوقائع التي عاشتها شخصيات الرواية، من أمثلتها:

1-ما جاء في وصف حالة ميلاد ليلة محاولة الهروب من المعسكر:" كنت لا أزال أنزف، لم أشعر بجرحي الذي تشكّل على هيئة تفاحةٍ مشروخةٍ من نقر العصافير، كان مريبًا، ..."(النّعاس، 2022، 103)، حيث تحقق الفعل الكلامي غير المباشر من خلال تشبيه جرحه المفتوح بتفاحة مشروخة نقرتها العصافير، وتمثّلت قوته الإنجازية في الريبة والخوف، أي عدم الشعور بألم جرحه النازف من أثر الريبة التي شعر بها والخوف الذي تسلل إلى قلبه بعد أن اكتُشف أمرهم في محاولة الهرب وبدأ الكلاب يلاحقهم.

2-ما ورد في وصف ميلاد لنفسه بعد سقوطه من سقف البيت ومراقبة العبسي لزوجته وما أكّده بشأن ركوبها سيارة مديرها:" قال لي إنّه لم يشأ إخباري بذلك، وأنا أعاني من كسرين، كسرٌ في رجلي وكسرٌ في علاقتي بأخواتي" (النّعاس، 2022، 286)، في التعبير فعل كلامي غير مباشر ظهرت قوته الإنجازية في بيان الحالة النفسية التي عاشها ميلاد وهي شعوره بالحزن الشديد اتجاه علاقته بأخواته والأثر الذي تركته تلك العلاقة في نفسه ممّا جعل العبسي يخفي عنه أمر خروج زوجته مع مديرها أثناء مرضه حتّى لا يُثقل عليه أكثر.

3- في محاولة ميلاد جرّ زوجته للحديث معه، بعد توتر العلاقة بينهما: "شعرتُ بأنّ على التوتر بيننا أن يذوب كالثلج تحت شمس الصحراء الحارقة"(النّعاس، 2022، 328)، إذ جاء الفعل الكلامي غير المباشر للتعبير عن حالة التوتر، قوته الإنجازية ظهرت في تشبيه حالة التوتر بالثلج، أراد من خلال هذا التعبير بيان رغبته في إنهاء هذا التوتر بينهما بدفء المحبة كما يذوب الثلج بحرّ الشمس.

4- في وصف حالة المدام حين أسرد لها ميلاد الحلم الذي رآه عن معاناة المعسكر:" كانت مرعوبة من حلمي واضعة يدها على فمها مندهشة من كلّ العذاب الذي يمكن أن يلقاه رجل في معسكرات الجيش" (النّعاس، 2022، 247، 248)، إذ تحقق الفعل الكلامي غير المباشر من خلال حركة جسدية قامت بها المدام قوتها الإنجازية تجسدت في معنى الاندهاش والرعب من المشاهد التي سردها ميلاد.

5-كما ورد في وصف حالة زينب عندما رفض ميلاد نزولها إلى البحر بملابس السباحة:" تحوّلت من كائن وديع إلى بركان غاضب يصرخ في وجهي بأنني كذبت عليها وخدعتها"(النّعاس، 2022، 162)، إذ عُبّر بالاستعارة عن فعل كلامي غير مباشر ذلك بتشبيه زينب ببركان غاضب، قوته الإنجازية ظهرت في معنى شدّة الغضب.

6-مثله ما جاء في وصف ميلاد نفسه عندما رآى زوجته وهي تدخل المقهى مع مديرها:"تحوّلت وجهي إلى لون الطماطم، لكنّني لم أعرف ما الذي عليّ فعله"(النّعاس، 2022، 205)، إذ عبّر بفعل كلامي غير مباشر ظهرت قوته الإنجازية في معنى الغضب من خلال الكناية باللون الأحمر المأخود من الطماطم.

7-في وصف ميلاد حالته عندما قرأت المدام له فنجانه بالفأل الحسن:"تسلّلت الطمأنينة إلى صدري كتسلّل الحشيش إلى عقلي" (النّعاس، 2022، 249)، إذ عبّر بالتشبيه عن فعل كلامي غير مباشر، وهو تشبيه الفأل الحسن بالحشيش، ذلك ليمثل قوة إنجازية يظهر معناها في تصوير تهدئة القلب وإراحته وطمأنته، كما يفعل الحشيش بالدماغ.

8- في وصف ميلاد نفسه عندما حصره عمه وأراد التخلص منه وجعله بلا عمل داخل الكوشة حيث زاد عدد العاملين فيها:" كانت الدّنيا تحشرني في الزاوية كقطّ يبحث عن مهرب.."(النّعاس، 2022، 53)، إذ عبّر بالاستعارة والتشبيه عن فعلين كلاميين غير مباشرين، تمثّلت قوتهما الإنجازية في فقد القدرة على المناورة وإيجاد سبيل للخروج من الضيق الذي وقع.

9- في وصف الرغيف: "الرغيف السعيد مرح، الرغيف الكئيب كجثّة قنفُذ"(النّعاس، 2022، 334)، حيث أنجز الفعل الكلامي غير المباشر فيه من خلال تشبيه الرغيف بجثّة قنفذ، ذلك أنّه أراد بيان تأثّر شكل الرغيف وطعمه بما يشعر به الخبّاز وبما يمرّ به من حالات نفسية، فهنا شبه الرغيف بالكائن الحيّ فيكون سعيدًا مرحًا نشطًا، ويكون تعيسًا كئيبًا كما الرغيف يكون عجينة لينة من تفاعل الماء والخميرة ذات الخلايا الحية الطبيعية، ويكون جافّا ناشفًا.

10-مثل ما جاء في وصف حال العبسي عندما رجع ابن خالته من السفر وهو جالس يستمع إلى قصصه التي عاشها:" كان كالطفل قد وجد، أخيرًا، لعبته المفضّلة"(النّعاس، 2022، 283)، إذ أُنجز الفعل الكلامي غير المباشر من خلال تشبيه العبسي بالطفل الذي وجد لعبته المفضّلة، وقد أظهر هذا التشبيه قوة إنجازية معناها اللهفة والفرحة.

11- في سرد حدث حمل زينب قال ميلاد:" كنّا نطير من الفرح..."(النّعاس، 2022، 112)، حيث جاء فعل كلامي غير مباشر ظهرت قوّته الإنجازية في معنى الفرحة وتشبيه نفسيهما بالطائر الذي يطير عاليًا، وذلك لتجسيد عمق الشعور بالفرحة في تحقيق الآمال بإنجاب طفل.

خامسًا: الأفعال الكلامية غير المباشرة في الإعلانيات(الإيقاعيات)

قلّ ورود هذا الصنف من الأفعال في الرواية، فقد لحظنا وجوده في موضعين:

منه ما ورد في الذكرى الوحيدة التي استقرّت في بال ميلاد تلك التي:"أعلن فيها المادّونا فشله في أن يجعل منّي بندقيّة يوجهها حيث يشاء"(النّعاس، 2022، 76)، حيث أنجز فعل كلامي غير مباشر تمثلت قوته في إعلان فقد القدرة على السيطرة والتطويع للأوامر.

وفي سياق سرد حدث انهماك ميلاد وانهياره بعد أن كلّ المادونا منه وهو يصرخ لينهض لكنه لم ينهض من التعب فأمر أحد الجنود بتفحّصه:" أعلن الجنديّ رصاصة الرحمة على جسدي المنهك"(النّعاس، 2022، 78)، حيث تحقّق فعل كلامي غير مباشر قوّته الإنجازية تجسدت في معنى إنهاء التعذيب، فالمراد برصاصة الرحمة أي أنّ الجندي عندما فحصه تأكّد من أنه مغمى عليه غير قادر على تحمّل المزيد من الألم، ما جعل المادّونا يتركه ويكفّ عن تعذيبه.

الخاتمة

خلصت الدراسة إلى النتائج الآتية:

1-النص الروائي نسقٌ لغويٌ يحوي مجموعة كبيرة من الصّيغ والأدوات والتراكيب المختلفة التي يستخدمها الكاتب لكي يُضفي من خلالها دلالات متنوعة على عمله ليجسد بها الواقع الذي يحاول التأثير فيه، بأسلوب يتميّز بلغته التأثيرية ومقاصده الضمنية التي لا تُفهم إلاّ عن طريق المقام، وهذا ما تكشفه دراسة الأفعال الكلامية وتوضيح دلالاتها السياقية.

2-جاءت أهمية الرواية المختارة (خبز على طاولة الخال ميلاد-لمحمّد النّعاس)، من أهمية مادّتها اللغوية والفكرية، فهي رواية هادفة لجأ كاتبها فيها إلى لفت انتباه المتلقي إلى قضية اجتماعية مهمة في المجتمع الليبي خاصّة والمجتمع العربي عامة، وهي نظرة المجتمع للرجولة وتحديد تعريف واحد لها ووضع معايير تُقاس بها، محاولًا التأثير في هكذا عقلية وتغيير المعتقدات والسلوكيات السائدة حيال القضية المثارة.

3-كانت الأفعال الكلامية غير المباشرة في الرواية مدار البحث، على شكل قوى إنجازية تسعى إلى الدخول في ذهنية المتلقي وتجعله متمعنًا في السياقات التي وردت فيها ويحللها حتى يصل إلى المعنى المطلوب، واختلفت قوة المعاني الإنجازية لتلك الأفعال بسبب اختلاف المقام وليس بسبب البنى اللغوية لها، وقد أسهم تنويع هذه الأفعال في تنويع الأغراض التواصلية والمقاصد البلاغية.

4-لقد وظّف الكاتب صور بيانية متعددة في قوالب بلاغية منها التشبيه والاستعارة والكناية، رمى بها إلى تحقيق أغراض إنجازية ضمنية، وكان لاستخدام الكنايات والتشبيهات النصيب الوافر في جعل المتلقي يستنتج الفكرة ويتبعها وفق عمليات استدلالية استلزامية تقنعه بالواقع الذي تحدّث عنه الكاتب، ذلك من خلال الحكم والأمثال الليبية والعربية منها:(اضرب القطوسة، تخاف العروسة، وعش يومًا ديكا ولا عشرة دجاجة).

5-لقد تنوعت الأغراض الإنجازية للأفعال الكلامية غير المباشرة في الرواية حسب ما صنّفه (سيرل) وهي: التقريرية، والتوجيهية، والإلزامية والتعبيرية، والإعلانية، تمثّلت قواها التأثيرية في معنى: السخرية والاستهزاء، والاستنكار، والتوبيخ، والغضب، الافتخار، لالتماس، النصح والإرشاد، والحث والتحريض، والتهديد، والمحاسبة....

المصادر والمراجع

ابن منظور (أبو الفضل جمال الدين محمد بن كرم بن منظور الأفريقي المصري(ت711هـ)، لسان العرب، دار المعارف، د.ت.

أرمينكو (فرانسواز أرمينكو) 1987، المقاربة التداولية، ترجمة: سعيد علوش، الناشر مركز الإنماء القومي، د.ط.

البستاني (بشرى البستاني)، 2012 التداولية في البحث اللغوي والنقدي، مؤسسة السياب- لندن، الطبعة الأولى.

بلاتشيه (فيليب بلاتشيه)، 2007 التداولية من أوستين إلى غوفمان، ترجمة: صباح حباشة، دار الحوار، اللاذقية-سورية، الطبعة الأولى.

بوجادي (خليفة بوجادي)، 2009 في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، دار بيت الحكمة، الجزائر، الطبعة الأولى.

بيرم (عبدالله بيرم)، 2013 التداولية والشعر قراءة في الشعر المديح في العصر العباسي، دار المجدلاوي، عمان، الطبعة الأولى.

الخليفة (هشام إبراهيم عبدالله الخليفة) 2012: التداولية في البحث اللغوي والنقدي، مؤسسة السياب - لندن، د.ط.

الدخيل (معاذ بن سليمان الدخيل) 2014، منزلة معاني الكلام في النظرية النحوية العربية، مقاربة تداولية، الناشر نادي القصيم الأدبي، الطبعة الأولى.

دلاش (الجيلالي دلاش)، مدخل إلى اللسانيات التداولية لطلبة معاهد اللغة العربية وآدابها، ترجمة: محمد يحياتن، ديوان المطبوعات الجامعية – الساحة المركزية، بن عكنون-الجزائر، د.ط، د.ت.

دايك (تون 1.فان دايك) 2001، علم النص، مدخل متداخل الاختصاصات، ترجمة وتعليق: سعيد حسن بحيري، دار القاهرة للكتاب، القاهرة-مصر، الطبعة الأولى.

روبول وموشلار(آن روبول وجاك موشلار) 2003، التداولية اليوم، علم جديد في التواصل، ترجمة: سيف الدين دغفوس ومحمد الشيباني، مراجعة: لطيف زيتوني، دار الطّليعة، بيروت-لبنان، الطبعة الأولى.

زيدان (محمود فهمي زيدان) 1985، في فلسفة اللغة، دار النهضة العربية، بيروت-لبنان، د.ط.

الشهري (عبدالهادي بن ظافر الشهري) 2004، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت-لبنان، الطبعة الأولى.

صحراوي (مسعود صحراوي) 2005، التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولّية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، دار الطّليعة، بيروت-لبنان، الطبعة الأولى.

الصرّاف (علي محمود حجّي الصّراف) 2010، في البرجماتية -الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة، دراسة دلالية ومعجم سياقي، مكتبة الآداب -القاهرة، الطبعة الأولى.

الطبطبائي (طالب سيّد هاشم الطبطبائي) 1994، نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب، مطبوعات جامعة الكويت، د.ط.

عبدالحق (صالح إسماعيل عبدالحق) 1993، التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد، دار التنوير، بيروت-لبنان، الطبعة الأولى.

علوي (حافظ إسماعيلي علوي) 2014، التداوليات، علم استعمال اللغة، دار عالم الكتب الحديث، إربد-الأردن، الطبعة الثانية.

عودة (مؤيد عودة) 2023، تحليل الخطاب في كتاب العِقد الفريد، الخطب أنموذجًا، دراسة نصية تداولية، دار الآن ناشرون وموزعون، الطبعة الأولى.

كاظم (مرتضى جبار كاظم) 2015، اللسانيات التداولية في الخطاب القانوني، قراءة استكشافية للتفكير التداولي عند القانونيين، منشورات الضفاف-دار الأمان، الرباط، الطبعة الأولى.

نحلة (محمود أحد نحلة) 2002، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية.

النّعاس(محمّد النّعاس)، 2022 خبز على طاولة الخال ميلاد، دار الرافيدين، بغداد- العراق، طبعة خاصّة بالعراق، الطبعة الثامنة، جون.

بلخير (ذيب بلخير) 2013، تجليات الفعل الكلامي عند جلال الدين القزويني، مجلة مقاليد، العدد الخامس.

بوخشة (خديجة بوخشة) 2020، أفعال الكلام في شعر رمضان حمود، مجلة حوليات التراث، الجزائر، العدد العشرين.

جلولي (العيد جلولي)، نظرية الحدث الكلامي من أوستين إلى سيرل، مجلة الأثر، العدد الخاص، د.ت.

روقاب (جميلة روقاب) 2016، نظرية أفعال الكلام بين التراث العربي واللسانيات التداولية، أوستين وسورل نموذجًا، مجلة الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية, قسم الآداب والفلسفة، العدد الخامس عشر، جانفي.

صحراوي (مسعود صحراوي): 2004 الأفعال الكلامية عند الأصوليين، دراسة في ضوء اللسانيات التداولية، مجلة اللغة العربية، الأبيار-الجزائر، العدد العاشر.

الجهاز المفاهيمي للدرس التداولي المعاصر 2005 (القسم الأول)، مجلة الآداب واللغات، العدد الخامس.

عبدالباقي وأحمد (عباس محمد أحمد عبدالباقي، وجمال الدين إبراهيم عبدالرحمن أحمد) 2020، تحليل الخطاب في اللسانيات الحديثة، المقاربة التداولية نموذجًا، مجلة العلوم الإنسانية والطبيعية، المجلد2، العدد العاشر.